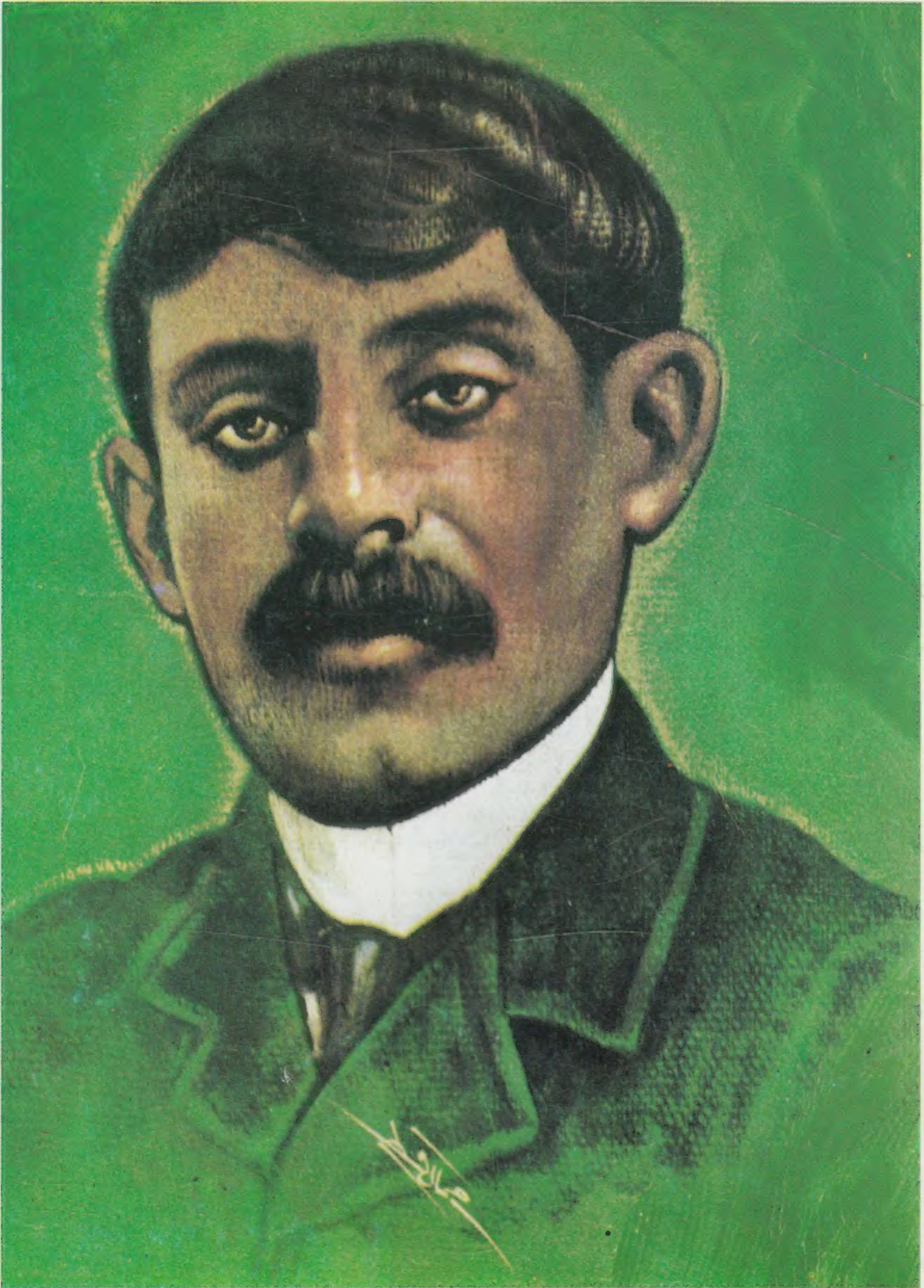


عظماء قهروا اليأس

# قاسم أمين



يوسف الحمادى

مكتبة مصر  
مطبوعات

30

A5





عظماء قهروا اليأس



قاسم أمين

رائد الإصلاح الاجتماعي

تأليف

يوسف الحمادى

مستشار اللغة العربية الأسبق

بجمهورية مصر العربية

الناشر

مكتبة مصر بالفجالة

سعيد جودة السحار وشركاه



## تقديم

إلى جيلنا الناشئ  
إلى أبناء اليوم ورواد الغد .  
إلى طلاب المرحلة الأساسية وغيرهم ..  
إليهم جميعا وإلى كل قارئ .  
إليهم نقدم هذه السلسلة من حياة بعض عظمائنا الذين قهروا اليأس ،  
وبددوا ظلامه ، ونجحوا بإرادتهم القوية الجبارة أن يشقوا طريقهم بين  
الأشواك والصخور ، وأن يشاركوا بجهودهم الواعية البناءة فى صنع حياتنا  
الحديثة التى ننعم بما فيها من حرية وعزة وكرامة .  
وتشمل هذه السلسلة حياة :  
محمود سامى البارودى ، أحمد عرابى ، على مبارك ، مصطفى كامل ،  
سعد زغلول ، محمد حافظ إبراهيم ، عباس محمود العقاد ، طه حسين  
وغيرهم .  
وستظهر إن شاء الله سلاسل تالية حول عدد آخر من البطولات  
والأبطال الذين خلدهم تاريخنا ، وكان لهم أثر بارز فيه .  
ومن حق هؤلاء العظماء أن نفتح عيون أبنائنا على صفحات من  
حياتهم ، تنير الطريق ، وتحىى الأمل ، وتبنى النفوس ، وتنشئ الجيل  
الحديد على حب البلاد ، والوفاء لها ، والعمل لخيرها فى حماسة وإيمان  
مخلص صادق .

المؤلف



## الفصل الأول

### أسرة قاسم أمين

قصة أبيه :

والدهُ مُحَمَّد أمين .

وهذا الوالدُ من أسرةٍ تركية . كانت تقيمُ بالعراقِ ، وكان العراقُ في ذلك الوقت — ولاية من ولاياتِ الخلافةِ العثمانية ، وعاصمتُها « الآستانة » في تركيا . وفي العراقِ ، وفي « السليمانية »<sup>(١)</sup> عاش مُحَمَّد أمين والدُ قاسم أمين مع أسرته ، وهو في زهو<sup>(٢)</sup> بمكانة هذه الأسرة ، ورضا الخليفةِ العثمانيِّ عنها ؛ فقد عهد إلى أحدِ أفرادِها بالولاية على « السليمانية » ، وكان هذا الوالي ابنَ عمِّ مُحَمَّد أمين .

تقلب الأحداث بالأب :

ولكنَّ الأحداثَ تقلبت بِمُحمَّد أمين ، ولعبت به منذُ طفولته ؛ فقد مات أبواه وهو طفلٌ ، وأحسَّ مرارةَ اليتم وهو صغيرٌ . . . ولكنَّ جدَّته أدركته<sup>(٣)</sup> ، فقامت بأمره ، وعاونها في ذلك خاله ، وكانت هذه الرعاية أقوى ما خفف مصابه ، وأشدَّ ما أزعجَ الهمَّ عنه .

ولم تقف الأحداثُ بالصبيِّ مُحَمَّد أمين عندَ هذا الحدِّ ؛ فقد غضِبَ الخليفة على والي « السليمانية » ، فعزله عنها ، وأخرجَ أسرته منها ،

---

(١) السليمانية : إقليم من أقاليم العراق (٢) في زهو : في فخر وإعجاب

(٣) أدركته : لحقته



وأعادها إلى « الآستانة » . . . ومن بين من عادوا إليها محمد أمين . وكان  
- إذ ذاك<sup>(١)</sup> - في سن الخامسة عشرة من عمره .

هجرته إلى مصر :

ودار الصبي ببصره في « الآستانة » ، فتألم لبعده عن  
« السلمانية » ، ولعزل قريبه عن ولايته ، ولسخط الخليفة على  
أسرته . ثم لم تنته الأحداث التي تقلبت به عند هذا الحد أيضاً ؛ فقد  
نشِب<sup>(٢)</sup> الخلاف بينه وبين قريبه الذي عزل عن ولايته ؛ وبذلك ضاقت  
« الآستانة » به ، وكره العيش فيها ، كما كره الصدام بينه وبين  
قريبه ، الذي كان والياً ثم عزل .

وفكر الفتى وفكر ! وأطال التفكير والتقدير !

وأخيراً هداه تفكيره أن يهجر « الآستانة » ، ويرتحل عنها ، وصمم  
على فكرته ، ولكن إلى أين يرتحل ؟ ! وإلى أي مكان يهاجر ؟ ! لقد  
كان يسمع عن مصر أنها بلد الخصب والرخاء . وبلد الأمن والأمان ،  
وأن النازل بها يجد فيها ما يرضيه ، ويشفي جراحه وآلامه !! فصمم  
أن يرحل إليها .

ولم يحدث الفتى أحداً بينته .

ولم يخبر أفراد أسرته بما عزم عليه ، وذات يوم خرج إلى الشاطئ ،  
وراقب السفن المسافرة من « الآستانة » إلى مصر ، واستقل<sup>(٣)</sup> واحدة  
منها . نقلته إلى هذا البلد الطيب المضياف<sup>(٤)</sup>

(١) إذ ذاك : في ذلك الوقت .

(٢) نشب : نشأ وظهر .

(٣) استقل : ركب .

(٤) المضياف : الذي يحسن لقاء الضيف ويكرمه



رعاية الأتراك للمهاجر الوافد :

ولقيه بعض الأتراك في مصر .

ورحبوا به حين عرفوا قصته ، وقدروا له عزمته ، وعلو نفسه ،  
وتمسكه برأيه ، وهو ما يزال فتى يخطو نحو الشباب .

وبلغ من إعجابهم بعزمته ، وعطفهم عليه — أنهم تكفلوا به<sup>(١)</sup> ،  
وبمطالب حياته ، وأنهم أدخلوه المدرسة الحربية ، وتعهّدوه بها ، وما زالوا  
يتعهّدونه ، حتى تخرّج ، وانتظم في السلك العسكري ، وترقى ، وكانت  
هذه المدرسة أمل أكثر الأتراك من أمثاله في ذلك العهد .

ومرّت سنوات ترقى فيها محمد أمين ، وتنقل من رتبة عسكرية إلى  
رتبة أعلى ، ومن منصب إلى منصب أرفع ، وما زال يتدرّج في الترقية  
حتى بلغ رتبة « الأميرالاي » ، وهي من الرتب العسكرية المرموقة<sup>(٢)</sup>  
في الجيش .

وتولّى محمد أمين هذا المنصب في « طرة »<sup>(٣)</sup> ، وبين الفريق  
العسكري المقيم بها . . وبذلك أحسّ الرجل أن الأيام التي لعبت به  
فجرّته الآلام<sup>(٤)</sup> عادت لتحنو عليه ، وتشفق به .

---

(١) تكفلوا به : تحملوا نفقات معيشتهم .

(٢) المرموقة : التي يتطلع الناس إليها ، ويتمنون بلوغها .

(٣) طرة : ضاحية معروفة من ضواحي القاهرة ، تقع على شاطئ النيل على مقربة منها .

(٤) جرّته الآلام : أصابته بواحدة بعد واحدة .

## الفصل الثاني

### مولد قاسم أمين ونشأته

مولده :

كان « الأميرالاي » مُحَمَّد أمين كما ذكرنا . يتولَّى شئون منصبه في « طرة » ، وكان يقيم بها هو وزوجته ، وكلاهما من الأتراك . وبين هذين الأبوين أهلت على الدنيا طلعة طفل كان كبير الرأس ، باسمِ الشجر ، مفتوح الوجه ، وسيم الطلعة ، منسق<sup>(١)</sup> التقاسيم ، غزير الشعر ، له عيان متألقتان<sup>(٢)</sup> ، وله حاجبان يزنان عينية ؛ وفمه أميل إلى الاتساع ، ومُحيَّاه<sup>(٣)</sup> يميل إلى العرض أكثر مما يميل إلى الطول ، وكل ملامحه تجذبُ النظرَ إليها بأشعتها النفاذة ، وتدفعه إلى أن يُكثر من التردُّد فيها ، وعدم التحوُّل عنها أو الانصراف إلى غيرها . وحمل الأب طفله ، فسُرَّ به .

وحملت الأمُّ طفلها ، فسعدت بطلعته ، وكان كلُّ منهما في أشدَّ الشوقِ إليه ؛ ليملاً حياتهما ، ويشيع البهجة فيها ، وليغمرها بالسعادة بعد القسوة التي عانى فيها الأبُ الشدائد ، وتحمل المآسى<sup>(٤)</sup> والآلام . ولعلَّ الأبَّ والأمَّ أطالا النظرَ إليه ، وردَّذا البصرَ في وجهه ، فوجدوا فيه ، وفي نظراته وتقاطيعه طفلاً غيرَ عادى ، وأحسَّ فيه ذكاءً متوقِّداً<sup>(٥)</sup> ، وروحاً متوثبة<sup>(٦)</sup> ، وحيويةً تحدَّثُ عن مستقبل له شأنه ، فحمداً الله ، وملاً قلبهما الأملُ به ، وبمستقبله ، وحياته .

(١) منسق : متلائم . (٢) متألقتان : لامعتان . (٣) محياه : وجهه .  
(٤) المآسى : جمع مأساة ، الأحداث الحزينة . (٥) متوقِّداً : شديداً حاداً .  
(٦) متوثبة : فيها حيوية وتفتح للحياة .



كان هذا الطفلُ هو « قاسم » الذى وُلِدَ فى أولِ ديسمبر من سنة ١٨٦٣ ، وعُرفَ فى تاريخِ الفكرِ والأدبِ والفنِّ والاجتماعِ باسمِ « قاسم أمين » ، وعنه يتحدث هذا الكتيبُ .

تنقل والد الطفل به وتنشئته :

تنقل الأبُ بأسرته وطفله بين أكثر من موقع ، فكان فى الإسكندرية ، وفيها دخل الطفلُ مدرسة الإسكندرية الابتدائية ، وكان فى القاهرة ، وفيها دخلَ المدرسةَ التجهيزيةَ الثانويةَ ، أو المدرسةَ التى عُرفت فيما بعدُ باسمِ الخديويةَ الثانويةَ .

وهنا افترقَ الطريقُ بينه وبين أبيه . لم يدخل المدرسةَ الحربيةَ ؛ فيكونَ رجلَ حربٍ كأبيه ، ولم يسلكَ الطريقَ الذى كان يسلكها أكثرُ الأتراك على عهدِهِ .

ويتساءل الناسُ فى دهشةٍ : لماذا لم يدخل الشابُ قاسمُ أمينُ المدرسةَ الحربيةَ ؛ كما دخلها أبوه ؟! ولماذا لم يسلكَ الطريقَ إلى الأوسمةِ ، والرتبِ ، والأمرِ والنهى ؛ والضبطِ والربطِ ؟! والدراسةُ العسكريةُ هى التى تهيبُ له أن ينتظمَ بالجيش ، وأن يكونَ يوماً ما بينَ قادتهِ وبينَ كبارِ رجالِهِ !!

انتظامه فى مدرسة الحقوق :

لقد كانت كلُّ الدلائل<sup>(١)</sup> تشيرُ إلى أنه سيسلكُ مسلكَ أبيه فى الدراسةِ ، وكان كلُّ من حوله يتوقعون أن يحملَ فى قلبه ومشاعره الميلَ الحربى ، فأبوه رجلُ حربٍ ، والبيئةُ التى نشأ قاسمُ فى أحضانها بيئةٌ عسكريةٌ ، وأكثرُ أصدقاءِ أبيه من الأتراك الذين يحملون هذه

---

(١) الدلائل : جمع دلالة ، وهى العلامة التى تدل على شئ ما .

النزعة<sup>(١)</sup> ويفضلون حياة الجيش ومناصبه على غيرها .

ولكن قاسماً أخلف ظنونه ! ولعله كذلك أخلف ظن أبيه وظن أمه !  
لقد أنهى دراسته الثانوية ، وأدار ظهره إلى المدرسة الحربية ، فلم  
يفكر فيها ، ولم يتجه نحوها ، ولم يظهر أى ميل إليها ، ولم يتعلق أى  
تعلق بها !! وكان فى ذلك صورة مختلفة عن صورة أبيه ، وطبيعة  
مغايرة للطبيعة العسكرية كل المغايرة !

لم يكن « قاسم » حاد الطبع<sup>(٢)</sup> كرجل الحرب ، وإنما كان باسمًا هادئًا  
هدوء رجل الفكر والأدب والفن . لم يكن متوثبًا للهجوم والغلبة ، وإنما كان  
وديعًا<sup>(٣)</sup> بعيدًا عن المغالبة ، والصدام ، وفرض سلطانه على غيره .

لم يكن فظًا<sup>(٤)</sup> غليظ القلب ؛ يأنس إلى السيف ، ويركن إلى المدفع ،  
ويبتسم للنيران والدماء التى يتسم لها رجال الحرب ، وهى تحرق  
وتدمر ، وإنما كان رجل مسالم وسلام ، بعيدًا غاية البعد عن العداوة  
والخصومة ، وكان رقيق القلب ، رحيم النفس ، تستهويه<sup>(٥)</sup> مودة الناس ،  
وتجذب به صداقاتهم ، والمحبة بينهم .

لم يكن جامد الوجه صفيقًا ، فاتر الإحساس بليدًا ، وإنما كان حيًا ،  
نخبولًا ، مرهف الحس ينفر من الزج بنفسه فى غمار<sup>(٦)</sup> الجماعات  
المتنافرة المتخاصمة . وله مع ذلك جرأته وشجاعته وحرصه على  
الدخول فى قلب المجتمعات المثقفة والعيش بينها ، والعمل فيها .

وكان الجواب عن ميول قاسم أمين فى طبيعة « قاسم أمين » !!  
لم يُخلق ليكون رجل حرب ، وإنما خلق ليكون رجل حق ، ولم  
ينشأ ليكون عدوانيًا ، وإنما نشأ ليكون قانونيًا عادلًا .

(١) هذه النزعة : الرغبة والميل (٢) حاد الطبع : مندفع (٣) وديعًا : هادئًا .

(٤) فظًا : خشنا جافى الطبع . (٥) تستهويه : تستميله وتجذب به . (٦) غمار : وسط .



ولعلها أول مرة ينحني فيها والد قاسم أمين لرغبة ابنه .  
لقد تركه لحرية ورغبته ، فدخل قاسم مدرسة الحقوق والإدارة في  
مصر ، وكانت هذه المدرسة ملاذ<sup>(١)</sup> النابهين وذوى الطموح<sup>(٢)</sup> ، والذين  
يحرصون على أن يكون لهم شأن في المجتمع . . . . ودخلها قاسم  
أمين في سن مبكرة ، وفي الثامنة عشرة من عمره ، وفي أكتوبر من  
سنة ١٨٨١ تخرج فيها ، وظفر بشهادتها .

بعثته إلى فرنسا :

كان من البارزين المتفوقين ، فأرسل في بعثة إلى فرنسا . لحق فيها  
بجامعة « مونبلييه » ، وأتم الدراسة بها في مقدرة وبراعة ، وعاد إلى  
وطنه مصر سنة ١٨٨٥ ، وسنة اثنتان وعشرون سنة .

عودته واتجاهه إلى الإصلاح الاجتماعي :

لم تكن عودته إلى مصر عودة فرد عادي ، وإنما كانت عودة رائد<sup>(٣)</sup>  
من الرواد المعدودين ، ولم يكن هذا الرائد بطل حرب أو نضال<sup>(٤)</sup> في  
المعارك ، وإنما كان بطلاً مجاهداً في ميادين العدالة والحقوق ....

وشيئاً فشيئاً اشتهر « قاسم أمين » ، وذاع صيته ، وانضم إلى ركب  
الزعماء الأوائل ، وكان له كفاؤه بينهم ، وخطه المتفرّد المميّز بين  
الخطوط التي سلكوها ، كما كان له أثره في نهضة مصر ، وفي إنقاذها  
من وهديتها<sup>(٥)</sup> السحيقة<sup>(٦)</sup> التي تردّدت<sup>(٧)</sup> فيها ، وظلت بها أزماناً غير  
قصيرة .

(١) ملاذ : ملجأ . (٢) الطموح : الرغبة في التفوق .

(٣) رائد : الرائد من يتقدم قومه ، ويبحث لهم عن أحسن طريق يسلكونها . (٤) نضال : جهاد

(٥) وهديتها : الوهدة الحفرة الهابطة . (٦) السحيقة : البعيدة . (٧) تردّدت : وقعت





## الفصل الثالث

### ثقافته وحياته العملية

ثقافته واتساع نواحيها :

كانت بعثة « قاسم أمين » إلى فرنسا في دراسة القانون ، وكان المظنون أنه سيعيش كغيره ؛ محامياً ، ورجل عدالة ، وينتهي ، وتنتهى ثقافته عند هذا الحد . ولكنه كان شيئاً آخر !! .

عاد من فرنسا ، وله ثقافة واسعة الآفاق <sup>(١)</sup> متعددة الجوانب ، مديدة الأعماق والأبعاد ؛ فقد كانت له ثقافته في القانون ، وفي غير القانون : في اللغات والأديان ، وفي الأدب الفرنسي والعربي ، وفي التاريخ الفرنسي ، وفي الاجتماع الغربي والشرقي ، وفي سائر الفنون ، ومختلف المعارف . قيل عنه :

« كان يرى أن الدراسة يجب أن تكون حرة ؛ لذلك لم يقتصر على مناهج الدراسة كما يقتصر غيره ، وإنما أضاف إلى ذلك بحوثه الشخصية ، وقد تناولت بحوثه الشخصية : القانون ، والشرعية ، والتاريخ ، والاجتماع ، والأدب ؛ حتى إذا ما أزفت <sup>(٢)</sup> سنو دراسته على الانتهاء جد في الدراسة ، فكان في طليعة الحاصلين على إجازة الحقوق .

هكذا كانت طبيعته . كانت متحررة في الثقافة ، فأنف <sup>(٣)</sup> أن يعيش أسير المناهج الدراسية كما يعيش غيره ، وترفع عن أن يتقيّد بقيودها الجامدة المحدودة ، كما يتقيّد سواه ، ولعل ذلك لآمال كانت تملكه وتحدث بها نفسه .

(١) واسعة الآفاق : واسعة الميادين والنواحي . جمع آفق .

(٢) أزفت : قربت . (٣) أنف : لم يرض .

تكوين نفسه وتسليحها بأسلحة الريادة والتفوق :

كان لهذه الانطلاقة المتحررة الطموح<sup>(١)</sup> أثرها في حياته ومكانته ؛ فقد ساعدته على أن يشق طريقه إلى الريادة الاجتماعية ، وربما حدثته نفسه أن يكون من بين القادة والزعماء في مصر .. ؛ ومن ثم كان صبره وحماسه وبحوثه ، وكانت آماليه وآماله وتطلعاته التي مضت في طريقها لتصبح حقائق واقعة ، ومظاهر واضحة ملموسة .

ولكن قاسم أمين لم يعتمد على أحد ، ولم يتسلق على اكتاف الناس ، ولم يقفز قفزات مفاجئة .

وإنما أضاف إلى آماله وأمانيه حماسة المتمنى ، ودراسة الراغب ، وجدّ الآمل ، وثقافة المفكر الأديب ، أو الأديب المفكر ، وروح المصلح الاجتماعي الحريص على إحياء وطنه ، وبعثه من جموده وركوده<sup>(٢)</sup> .

كذلك كان قاسم ! لم يكن من الذين يعيشون على الخيال ، أو يستغرقون<sup>(٣)</sup> في الأحلام ، أو يحبون أن يصعدوا إلى الرقى بلا عمل ، ولا جهد ولا كفاح . وإنما كان واقعياً في حياته : يمضي عن ثقة ، ويصعد عن مقدرة ، ويعتمد على جهده في كل خطواته . يتعب ليبنى الثمر ، ويبدل ما يستطيع ليحقق الأمل .

حياته العملية :

بهذه الروح واجه حياته العملية .

عين مساعداً للنياحة المختلطة سنة ١٨٨٥ ؛ وذلك لتمكّنه من اللغة الفرنسية<sup>(٤)</sup> إلى جانب تمكّنه من الدراسة للقانون المصري والفرنسي ،

(١) الطموح : المتطلقة إلى الغايات البعيدة . (٢) ركوده : توقفه وبعده عن الحركة .

(٣) يستغرقون في الأحلام : يعيشون فيها وفي أعاقها . (٤) تمكّنه من اللغة الفرنسية : إتقانه لها .



وكان مثل هذا المنصب<sup>(١)</sup> وقفًا على الأجانب مغلقًا في وجوه المصريين ، ولكن طريقه قد فتح لقاسم أمين ، وفتح له قسم قضايا الحكومة ، كما فتح لأمثاله من الرواد أشباه فتحى زغلول ، ومصطفى فتحى . ومن إليهما . وترقى قاسم فى سلك النيابة . وكانت خطواته فى الترقى سريعة ، وعن جدارة<sup>(٢)</sup> حقيقية ، وامتنياز بارز بين واضح . وقفزت به ترقيته إلى رئاسة النيابة ، فكان رئيسًا لنيابة بنى سويف سنة ١٨٨٩ ، وبعد سنتين نقل إلى نيابة طنطا ؛ ليكون رئيسًا لها .

وطيته وروح العدالة فى نفسه :

وفى بنى سويف قام قاسم أمين بعمل جليل . كان خير دليل على شخصيته ، وأقوى معبر عن عدالته ... كان لسان الحكومة ، والمدافع عنها ، وكان المنتظر منه أن يلتزم جانب الانحياز لها : أخطأت أم أصابت ، أحسنت أم أساءت ، ولكن عدالته كسرت هذه القاعدة ، وخطه المستقيم حطم هذا العرف الظالم ، وعصف به .

قال عنه : « كان أول عمل قام به حين وُلّي هذا المنصب أنه أطلق سراح كثير من المتهمين الذين سجنهم الإدارة عدوانًا<sup>(٣)</sup> وظلمًا » وقد يكون من بين هؤلاء من رفع صوته فى وجه الفساد الحكومى ، أو انتقد ما تقوم به الحكومة من قهر للشعب ، أو استغلال لأمواله ، أو استعلاء على سلطانه ، وقد يكون منهم من رفع رأسه بحق ، أو باح بسرّ ترجو الإدارة أن يظلّ حبيسًا مكتومًا عن الشعب ، بعيدًا عن سمعه ولسانه ، ممنوعًا من التناول والتداول ، والأخذ والرد .

(١) المنصب : الوظيفة . (٢) جدارة : استحقاق .

(٣) عدوانا : ظلما واعتداء على حقوقهم .

وفى طنطا كان قاسم أمين نغم المعبر عن الشعب والمدافع عنه ،  
وكان ملاذ الحائر والشريد والمظلوم ، والمغلوب على أمره ... قبل أن  
يكون سند الحكومة فى الحق والباطل .

عرف عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية ، وأقوى المجاهدين مع  
أحمد عرابى . عرف أن قاسم أمين نُقل إلى رئاسة النيابة بطنطا .

وكان « النديم » قد حُكِمَ عليه بالإعدام لوقوفه إلى جانب  
« عرابى » ، واختفى منذ سنة ١٨٨٢ بعد إخفاق الثورة العرابية <sup>(١)</sup> ، وقد  
ساعدته أبناء مديرية الغربية على الاختفاء حتى سنة ١٩٨١ . وهى  
السنة التى نُقل فيها قاسم أمين إلى طنطا .

لم يخف النديم ، وإنما أنس <sup>(٢)</sup> إلى وطنية قاسم أمين ، فألقى بنفسه  
بين يديه ، وترك له أن يتصرف فى أمره كما يشاء .

وقدّر قاسم أمين بوطنيته جلال الموقف ، وأحس أن واجبه — فى  
رعايته للحق والعدالة والنضال فى سبيل مصر — يقضى عليه أن يقدم  
شيئاً لهذا الرجل العظيم : عبد الله النديم .

انتفض قاسم أمين -! وأخذته الدهشة ! وهب من مجلسه <sup>(٣)</sup> ،  
واستقبل الرجل خير استقبال ، وهو يعرف أن ذلك قد يعرضه  
لسخط الإدارة ، وقد يضر بمكانته ووظيفته . ولم يأبه <sup>(٤)</sup> قاسم  
وأصر <sup>(٥)</sup> أن يعمل للرجل شيئاً !

وفى الحال صاحب عبد الله النديم ، وسافر به إلى القاهرة ، والتقى برئيس

(١) إخفاق الثورة العربية : عدم نجاحها . (٢) أنس : أطمأن .

(٣) هب من مجلسه : انتفض واقفا . (٤) لم يأبه : لم يهتم . (٥) أصر : صمم .





الوزارة رياض باشا ، وما زال يسعى لديه ، حتى كُتِبَ له التوفيقُ ، وصدر العفو عن الرجل الذي يعيش وهو محكوم عليه بالموت .

صعوده في سلم الرقي والوظيفي :

واستمر قاسم أمين يترقى في سلك القضاء ، وشقَّ طريقه شيئاً فشيئاً إلى الريادة والزعامة . تحدّث عنه أحد من تناولوا سيرته . قال :

في ٢٦ من يونيه سنة ١٩٩٢ عُيِّن قاسم أمين ، وسعد زغلول ، ويحيى إبراهيم نوابَ قضاةٍ بمحكمة الاستئناف بأمرٍ واحدٍ ، ولم يحلَّ حولان حتى كان قاسم وسعد مستشارين بمحكمة الاستئناف ، وحتى ارتفعَ مرتبُ كلٍّ منهما إلى ألف جنيه في السنة<sup>(١)</sup> .

وهكذا ترى أن قاسم أمين بلغ في الحادية والثلاثين مرتبة قضائية عالية : لا يبلغها إلا الأقلون من رجال القضاء وفي سن الخمسين . ولعلّك تدرك - بعد ذلك كلّهُ - ذكاء قاسم أمين ، ونُدرة وقدراته ، وبراعة مواهبه .

لقد كان رجلاً عظيماً .

له عبقرية الفكر<sup>(٢)</sup> ، وعبقرية الملاحظة ، وعبقرية التخطيط ، وعبقرية التنفيذ ، وله روح الوطني المخلص الذي يعيش لمنصبه ، كما يعيش للناس .

(١) ارتفع إلى ألف جنيه في السنة : كان ذلك شيئاً نادراً .

(٢) عبقرية الفكر : براعته الفريدة النادرة .



## الفصل الرابع

### وطنية قاسم أمين

روحه المصرية الصادقة :

قاسم أمين تركى الأصل والجنس . ولكنه فى وطنيته مصرى كأبناء مصر العاملين المخلصين ؛ فقد وُلِدَ بضاحية « طرة » ، وبها قضى طفولته الأولى ، ولعل والدّه . « الأميرالاي » محمد أمين ووالدته قد حمّلاه ، وتمشيا به على شاطئ النهر الخالد ، فاستشّق عبيره<sup>(١)</sup> ، وتلقّى أنسامه ، وسرحت عيناه فى مشاهد الجميلة ، ورأى منذ أيامه الباكورة سفنه ، ومراكبه ، وبواخره ، وشاهد حمائم البيضاء ، أو زوارقه ذاهبة وآية<sup>(٢)</sup> ، وسابحة هنا وهناك .

ولعل أول شربة له كانت من النيل الخالد . من ذلك النهر العذب الروى<sup>(٣)</sup> الذى لا ينساه أبدا من شرب منه ، ولعل أول هو له مع رفاق الطفولة الباكورة كان على شاطئه عند هذه الضاحية العريقة<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

وفى مصر وعلى أرضها ، تعلّم « قاسم أمين » وتلقّى دراسته : طفلاً ، وصبياً ، وشاباً ؛ فقد كان بالإسكندرية فى دراسته الابتدائية ، وكانت المدرسة التى لحق بها هى مدرسة « الإسكندرية الابتدائية » ، وكانت دراسته الثانوية بالقاهرة ، وكانت مدرسته هى المدرسة التجهيزية ، وهى التى عُرفت بعد باسم المدرسة الخديوية ، كما كانت دراسته العالية بالقاهرة ، وفى مدرسة الحقوق والإدارة ، وقدّر له أن

(١) عبيره : رائحته الذكية (٢) آية : عائدة (٣) الروى الذى يروى ماؤه من يشربه لعنوبته

(٤) العريقة : الأصيلة القديمة .

يُسافر إلى فرنسا ؛ لِيَتَلِيَه<sup>(١)</sup> القَدْرُ بالغربةِ فترةً عن مصرَ ، وعن ملاعبه  
على أرضِها ، وعن مسارِحِ لُهوهِ<sup>(٢)</sup> وجدَّه فيها ، وصحاب طفولته  
بها ، ورفاق دراسته في مدارسِها ومعاهدِها ، وبهذه الغربةِ ازداد حُبُّه  
لمصرَ ، وشوقه إلى ذكرياته فيها .

ولم يُقدِّرْ لتركيبته شَيْءٌ واضحٌ من الظهور والنماء ... لم يولد في  
الآستانةِ ، ولم ينشأ على أرضِ تركيا ، ولم يتعلَّم في مدارسِها ومعاهدِها  
، وبهذا كانت تركيبته تركيبةً اسْمِيَّةً ليسَ لها دعائمُ<sup>(٣)</sup> تشدُّه إليها ،  
وتجتذِبُه نحوَها .

ولو سُئِلَ قاسمُ أمين عن وطنه ما تردَّدَ في أن يقولَ : « أنا مصري »  
ولو سُئِلَ عن تركيا ، أو عن السلিমانيَّة أو الآستانة ما زاد على قوله :  
« كانت أسرتي منها ، أو كانت بها » .

قاسمُ أمينُ إذن مصريُّ !!

مصريُّ وطنًا ، ونشأةً ، وحياةً ، ووظائفَ وريادةً ، وزعامةً .. وما إلى  
ذلك مما لا يفترقُ فن شَيْءٍ عن حياةِ أي مصريٍّ نابغٍ من أبناء مصر .  
مظاهر الروح المصرية فيه :

لوطنية قاسمِ أمينٍ مظاهرٌ متعدِّدة ، من أهمِّها المظاهرُ التالية :  
أولا : أن مصرَ على عهدِه كانت تمرُّ بفترةٍ من أقسى الفتراتِ  
التي مرَّت بها ! كانت ولايةً عثمانيةً تخضعُ للخليفةِ في تركيا ، وعلى  
رأسِها والٍ من قبَلِه يجمعُ له الأموال ، وينفِّذُ له الأوامرَ ، ويقضى له  
بما يشاءُ ، وكما يشاء .

(٢) مسارِحِ لُهوهِ : أماكنه ومواقعه .

(١) ليتليه : ليختبره .

(٣) دعائم : أسس جمع دعامة .



وكان الحكمُ فيها استبداديًّا : تنحنى فيه الرؤوسُ ، وترتفعُ فيه  
السياطُ<sup>(١)</sup> ، والسيوفُ ، ويطيعُ الناسُ فيه رجالَ الإدارة طاعةً عمياءَ :  
لا همسةَ بها للمعارضةِ ، ولا سِمةَ<sup>(٢)</sup> فيها للتباطؤِ ، أو التلكؤُ<sup>(٣)</sup> ، أو  
الامتناعُ عن التنفيذِ ؛ فإذا كان شئٌ من ذلك فالجزاءُ الجلدُ والسياطُ ،  
أو الإلقاءُ فى السجونِ ، أو الحكمُ بالموتِ .

وعادَ قاسمٌ من فرنسا ببلادِ الحريةِ : يُقدِّسُ الحريةَ ، وينفِرُ<sup>(٤)</sup> من  
الظلمِ ، ولعلَّه لأوَّلَ مرَّةٍ يرى الناسُ رئيسَ نيابةٍ يقفُ فى وجهِ الإدارةِ  
فيطلقُ سراحَ المتهمين الذى كبَلَتْهم<sup>(٥)</sup> بالقيودِ ، وألقت بهم فى السجونِ ،  
وذلك كما فعلَ قاسمُ أمينٍ حينَ كانَ رئيسَ نيابةٍ فى بنى سويف . وهذا  
إن دَلَّ على شئٍ فإنه يدلُّ على أن الرجلَ كان يريدُ لمصرَ حياةً غيرَ  
الحياةِ القاسيةِ التى مرَّت بها : يريدُ لها حياةً تنعمُ فيها بالحريةِ ؛ فلا  
يكمِّمُ الناسُ<sup>(٦)</sup> ، ولا يُلقي بهم فى غياباتِ<sup>(٧)</sup> السجونِ ... ومثلُ هذا  
الموقفِ تكررَ فى الدفاعِ عن « عبدِ اللّهِ النديم » الذى حُكِمَ عليه  
بالإعدامِ ؛ لأنَّه وقفَ إلى جانبِ مصرَ ، وإلى جانبِ ابنها « عرابى »  
ولم يقفِ إلى جانبِ الخوثةِ من أذئابِ القصرِ الخديوى ، ومن ذيولِ  
الإنجليزِ .

ثانياً : أنه فى فرنسا رأى الفرقَ الشاسعَ بين الصالحِ من مظاهرِ  
الحضارةِ الغربيةِ ، ومظاهرِ التخلفِ والجمودِ والضَّياعِ فى مصرَ ،  
فأبى لمصرَ أن تعيشَ أسيرةَ هذه المظاهرِ : التعليمُ مُهمَلٌ ، والخرافاتُ

---

(١) السياط : جمع سوط . وهو الذى يعرف فى اللغة العامية باسم الكرياج . (٢) سمة : علامة .

(٣) التلكؤُ : التثاقل وعدم الإسراع . (٤) ينفر من الظلم : يمتنع ويبتعد .

(٥) كبَلَتْهم : قيدتهم . (٦) لا تكمم الناس : لا توضعُ كمادات على أفواههم .

(٧) غيابات : ظلمات

سائدة<sup>(١)</sup> ، والأساطير<sup>(٢)</sup> تملأ الرعوس ، والأجسام معتلة ، والأمراض متفشية<sup>(٣)</sup> .

وأحس أن أساس الخطر جهل المرأة ، وانكماشها عن المجتمع ، وحياتها الحبيسة وراء الجدران ، فتجرد محاربة مظاهر الفساد والضياع وجاهد جهاد الأبطال في الدفاع عن المرأة ، وفي استنقاذها من الوهدة<sup>(٤)</sup> التي انحطت إليها ... وكان قاسم أمين بدفاعه وجهاده وطنياً ، بل على قمة الوطنية : يحب مصر ، ويعمل لخير مصر وإن ظنة بعض الناس منحلاً متطرفاً .

ثالثاً : أن بعض الغربيين هاجموا مصر ، وحملوا عليها حملة شديدة ، وأصدروا الكتب في نقدها ، والتشهير بها<sup>(٥)</sup> وإذاعة نقائصها المفتراة ، فكان « قاسم » على قمة المدافعين عنها ، والمجاهدين في سبيلها .

رابعاً : أن الظلام الذي عاشت فيه مصر كان به بصيص<sup>(٦)</sup> من النور .. وقد ظهر هذا النور مع صدمة الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة ١٨٨٢ . ذلك أن هذه الصدمة أيقظت الشعب ، ودفعت بنيه وأبناء الإسلام أن يفكروا في مستقبل البلاد ، ويبادروا للأخذ بيدها .... وكان في مقدمة هؤلاء الرواد جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، ومصطفى كامل . ومن إليهم ، ودل ذلك على عهد من النهضة الوطنية كُتب لها فيما بعد النجاح والتوفيق .

(٢) الأساطير : الأقاصيص الخرافية .

(١) سائدة : منتشرة

(٤) الوهدة : الحفرة الهابطة

(٣) متفشية : شائعة

(٥) التشهير بها : إذاعة كلمة السوء عنها . (٦) بصيص : شئ من الضوء .



نزعات الزعماء في مصر ووضوح الروح المصرية فيهم :  
اختلف هؤلاء الزعماء ، فكان منهم المصلح الإسلامي كالأفغانى ،  
والمصلح التعليمي كمحمد عبده ، والمصلح الوطني كمصطفى كامل ..  
ثم كان منهم المصلح الاجتماعي كقاسم أمين . وهم مع اختلافهم من  
رواد الوطنية في مصر ، ومن رجالها الأوائل .

وفي قاسم أمين وضحت هذه الروح . كان قلبه ينبض بمصر وآمال مصر  
، فإذا استقام أمرها أطمأن ، وسكن في صدره ؛ وإذا ما اصطدمت  
بمحدث أليم أسى لها<sup>(١)</sup> ، وشاركتها مصابها بكل قلبه وجوارحه .

كتب عنه أحد من أرخوا سيرته ؛ وتابعوا جهودَه الصحفيَّة ، وما  
سطرته يده من مذكرات . من بينها المذكرة التي كتبها يوم وفاة  
مصطفى كامل الزعيم المصري الشاب سنة ١٩٠٨ :

« إن هذه المذكرة وحدها تدلُّك على أن قاسم أمين كان قلباً نابضاً ؛  
يحسُّ بدقات القلوب ، ويترجم<sup>(٢)</sup> عن الشعور الوطني الدقيق الذي نشأ  
بين المصريين ، والذي ترعرع<sup>(٣)</sup> في أيام الزعيم الشاب<sup>(٤)</sup> وبلغ عنفوانه<sup>(٥)</sup>  
في الربع الأول من القرن العشرين . قال :

١١ من فبراير سنة ١٩٠٨ : يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل هو  
المرَّة الثانية التي رأيت فيها قلب مصر يخفق<sup>(٦)</sup> . المرَّة الأولى كانت يوم  
تنفيذ حكم « دنشواي »<sup>(٧)</sup> رأيت عند كل شخص تقابلت معه قلباً

(١) أسي له : حزن له (٢) يترجم : يعبر (٣) ترعرع : نما وقوى

(٤) المراد مصطفى كامل (٥) عنفوانه : قوته (٦) يخفق : يهتز ويرتعد

(٧) يوم دنشواي : يوم مشهور بحكم فيه بالإعدام على بعض الفلاحين من قرية « دنشواي  
بالمنوفية ، لأنهم اجترأوا بالرَّد على بعض جنود الإنجليز الذين خرجوا لصيد الحمام ، فأطلقوا  
عليها النيران التي أصابت عدداً من الفلاحين ، وأحرقت ما أحرقت من أجران القمح .

مجروحًا ، وزورًا مخنوقًا ، ودهشة عvisية بادية في الأيدي وفي الأصوات .  
كان الحزن على جميع الوجوه : حزن ساكن مستسلم للقدر ، مختلط  
بشيء من الدهشة والذهول . ترى الناس يتكلمون بصوت خافت  
وعبارات متقطعة ، وهيئة بائسة . منظرهم يشبه قومًا مجتمعين في دار  
ميت ؛ كأنما كانت أرواح المشنوقين تطوف في كل مكان .

ولكن هذا الاتحاد في الشعور بقي مكتومًا في النفوس ، لم يجد  
سبيلًا يخرج منه ، فلم يبرز بروزًا واضحًا حتى يراه كل إنسان .

أما في يوم الاحتفال بجنازة « صاحب اللواء »<sup>(١)</sup> فقد ظهر ذلك  
الشعور ساطعًا في قوة جماله ، وانفجر بفرقة عالية سُمع دويها في  
العاصمة ، ووصل دويها إلى جميع أنحاء القطر .

هذا الإحساس الجديد . هذا المولد الحديث الذي خرج من  
أحشاء الأمة ، ومن دمها وأعصابها هو الأمل الذي يتسم في وجوهنا  
البائسة ! هو الشعاع الذي يرسل حرارته إلى قلوبنا الجامدة الباردة !  
هو المستقبل !

هذه كلمات « قاسم » ، كان يرى في الزعيم مصطفى كامل أمل  
الأمة ، ويحس نبضها<sup>(٢)</sup> ، ويتمثل مشاعرهما ، فيتكلم بلسانها .

وأى قلب بعد هذا القلب الكبير !؟

وأية وطنية صادقة بعد وطنيته !؟

لقد كانت الأمة كلها تعيش في قلبه ، أو يعيش في قلبها ، وهو  
يرسل هذه الكلمات الحارة المجروحة .

(١) صاحب اللواء : اللواء اسم جريدة ، وصاحبها هو الزعيم مصطفى كامل الذي أصدرها

(٢) نبضها : حركة قلبها

## الفصل الخامس

دفاع قاسم أمين عن مصر

رده على الدوق داركور

ما رمى به الدوق داركور مصر :

الدوق داركور فرنسيّ : تعرفه فرنسا ، وتعرفه مصر ؛ فقد اعتاد أن يزور مصر في الشتاء ، لينعم بجوها ، ويشاهد معالمها وآثارها ، وتردد عليها أكثر من مرة ، فشفي نفسه بمشاهدها وجوها وطبيعتها الساحرة . ولكن ذلك لم يبعث في قلبه الرضا عنها ، ولم يحمل إليه حبها وحبّ أبنائها ، وإنما خلق منه ناقداً تجسّم<sup>(١)</sup> عينه عيوبها ، وتحجب عنه محاسنها . تريحه الأشواك وتعميه عن الورود . تكشف له النقص وتستتر عنه الكمال .

وبهذه العين الساخطة أخرج سنة ١٨٩٤ كتابه « مصر والمصريون » ، وانطبق عليه قول الشاعر :

وعين الرضا عن كلّ عيب كيلة<sup>(٢)</sup> . : كما أن عين السخط تبدى المساويا  
الفلاح المصري عنده :

نظر إلى الفلاح المصري ، وصبحه عبر القرون ، فلم يأبه<sup>(٣)</sup> بصبره ، وكفاحه ، وجلده ، ولكنه رأى فيه نموذجاً للذلّ والهوان والاستعباد ، ونظر إلى الرباط الذي يولف بين قلوب المصريين ، ويجعل منهم شعباً له

(٣) لم يأبه : لم يهتم

(٢) كيلة : ضعيفة

(١) تجسّم : تكبر



قوميتُهُ القويَّةُ البارِزةُ ، فلم يرَ فيهم مثلَ هذا الرِّباط ، ولا مثلَ هذه الروح ،  
ونَسِيَ روحَ المصريِّ ، وحبَّه لوطنه ، والتفافَ القلوبِ حولَ هذا الحبِّ ،  
وما لذلك من أثرٍ في الروحِ القوميِّ العام .

طعن الشعب المصري :

وأُسرفَ الدوق داركور في طعن مصر والمصريين ، ودفعته إلى ذلك  
عصبيتُهُ للغرب ، وحقدهُ على الشرق ، وخوفُهُ أن يعودَ الشرقَ عظيمًا  
كما كان ، مجيدًا<sup>(١)</sup> كما عهدته الدنيا ، وكما عُرفَ عنه في تاريخه  
البعيد .

ووجدَ الشعبُ المصريُّ منه أقسى الطعنات .

لقد وصفه بأنه مُسخرٌ للحاكم يصرفه كما يشاء ، ووصفَ حاكمه  
بأنه ظالمٌ مستبدٌ ، ووصفَ العلاقةَ بينه وبين الحاكم بأنها علاقةُ  
الكراهةِ والنفورِ<sup>(٢)</sup> .. فهو يخافُ الحاكمَ ، ولكنه يحنى رأسه له ،  
ويتظاهرُ بطاعته ، والخضوعِ لأمره .

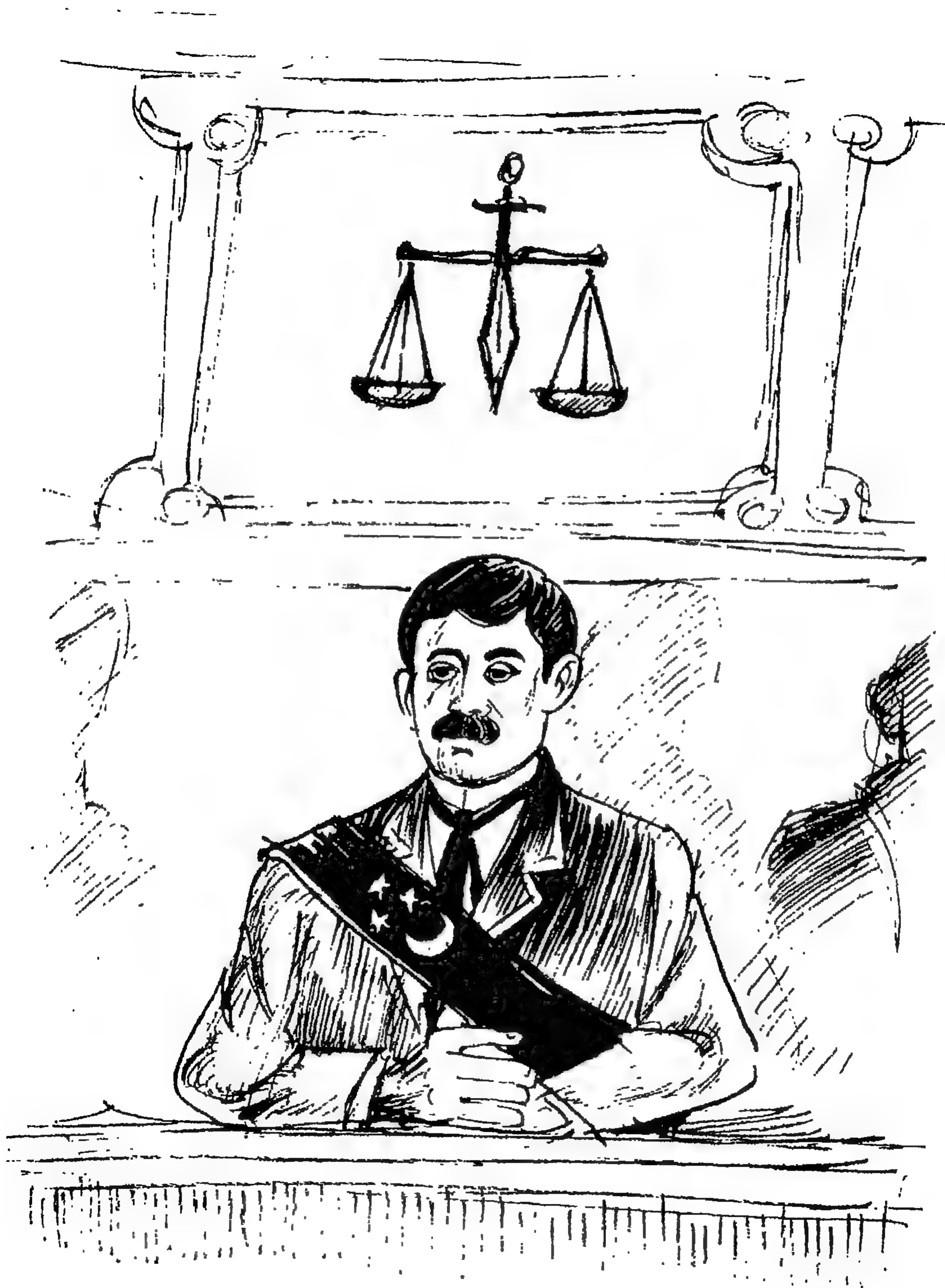
وهو عندَه بذلك ، شعبٌ ضعيفٌ ، ومصرٌ عندَه جسمٌ هزيلٌ  
لا تترددُ فيه روحٌ قومية .

ولقد وجدَ « داركور » في مصرَ والمصريين مبادئَ نهضةٍ كان من  
قادتها : جمالُ الدين الأفغانى ، ومحمدُ عبده ، ومصطفى كامل ، ولكنه  
غضَّ الطرف<sup>(٣)</sup> عنها ولم يُشرِ إليها .

(١) مجيدًا : عزيزًا عظيمًا .

(٢) النفور : الابتعاد وعدم الاقتراب .

(٣) غضَّ الطرف : أغمض العين .



### مهاجمة للإسلام :

لم يترفع الدوق « داركور » عن مهاجمة الإسلام وأبناء الإسلام : لقد هاجم حجاب المرأة ، وهاجم حياتها في البيت ، كما هاجم الطلاق ، وتعدّد الزوجات ... وكان أشدّ هجومه على المرأة المسلمة ، وفيه أساء إلى مصر والمصريين والإسلام غاية الإساءة .

وكان أرسطراطيّا<sup>(١)</sup> ، فرمى مصر بأنها فاسدة النظام ؛ لأنها لا تجد الطبقة العليا التي تحكمها ، ونسى الديمقراطية وكلمة الشعب وحكمه بغيره .... وكان في أكثر ما يقول عدواً للإسلام ، جاهلاً به وبأصاليه وعظمته ، فنسب إليه كل جمود وتخلف .

قاسم أمين يتميز غيظاً ويفحم داركور :

رأى قاسم أمين ذلك كله ، فأصابته حمى عنيفة كادت تؤدى بحياته<sup>(٢)</sup> وكادت تعصف به ، وظنّ بعض الظّانّين أن اليأس سيقف في طريقه ، ويحول بينه وبين آماله وكفاحه !

ولكنه كان أقوى من اليأس ، وأعظم من التراجع والتخاذل . لقد ثارت به وطنيته ، والتهبت مشاعره ، وتوقّدت حماسه لمصر والمصريين ، ولدينه الإسلاميّ المجيد العظيم ، فتجرّد للردّ على داركور في كتاب ألفه بالفرنسية ، وأخرجه سنة ١٨٩٤ من الميلاد .

وفي هذا الردّ درس قاسم أمين الكثير عن الشريعة الإسلامية ، وعن القواعد الأساسية للإسلام ، وجاء ردّه من منابعه الصحيحة ، ولم يكن

(١) أرسطراطيّا : ينظر إلى المصريين نظرة الطبقة الحاكمة المتحكمة

(٢) تؤدى حياته : تقتله



سطحيًا ، أو وحي عاطفة عابرة ، ومشاعر طافية هوجاء <sup>(١)</sup> .

أثر الرد في نفس داركور وفي حياة قاسم :

اصطدم « داركور » بهذا الرد ، وعرف أن في مصر رجالاً ، وأن للإسلام أبناء أحراراً بررة <sup>(٢)</sup> استطاعوا أن يدافعوا عنه ، وأن يفحموا <sup>(٣)</sup> « داركور » ويلقموه الحجر .

ومع ثورة قاسم أمين وحماسه لم يخرج عن اتزانهِ ، ولم يفتعل الأكاذيب ، ولم يدفع الحق بالباطل ، والصحيح بالزور والبهتان <sup>(٤)</sup> لقد اعترف أن في قومه نقائص ، ولكنها لا تنقص من محاسنهم ، وأقرَّ الصحيح من كلام « داركور » ولكنه كشف عن حقدِهِ وتعصبه ، ودوافعه إلى الانتقام من الشرق ؛ بالانتقام من مصر والمصريين .

وبهذا الرد على « داركور » دخل قاسم أمين حياة المجتمع ، واستقرَّ حبه في قلبه وأعماقه ، وتأهب <sup>(٥)</sup> منذ ذلك التاريخ ليحمل راية الريادة الاجتماعية ، ويدخل بين زعماء الإصلاح في مصر : وطنه الحبيب .

---

(١) هوجاء : حمقاء (٢) بررة : أخياراً (٣) يفحموا : يسكتوا

(٤) البهتان : الزور الذي يبهت من يرمى به ويخيره (٥) تأهب : استعد

## الفصل السادس

### شخصية قاسم أمين

نظرة عامة :

شخصية قاسم أمين شخصية ليست قريبة ولا يسيرة<sup>(١)</sup>  
إنها شخصية عظيمة ، بعيدة الأعماق ، مترامية الآفاق<sup>(٢)</sup> ، متعددة  
الجوانب : فيها من التركية ، وفيها من المصرية ، ولكن حظها من  
الروح المصرية أوفى<sup>(٣)</sup> وأوفر . فيها من آثار البيئة في مصر وفيها من  
آثار البيئة في فرنسا ، ولكن انعكاس البيئة المصرية عليه أقوى وأظهر  
من تأثيره بالبيئة الغربية . فيها من الثقافة الشرقية وفيها من الثقافة  
الغربية ، ولكن ثقافته الغربية لم تنسبه وطنه ، ولم تجذبته إلى حياة  
الغرب ، ولا إلى نزعاته المتحررة ، أو انطلاقاته البهيمية المتحللة .

نظرة تفصيلية :

قاسم أمين هو قاسم أمين ! .

هو قاسم أمين بشخصيته المتميزة ، وكيانه المتفرد ، وطبيعته المستقلة  
الخاصة به وحده ودون سواه .

وأقوى ملامح هذه الشخصية تتضح في كثير من مظاهر حياته :  
له عقل مفكر ، وحس أديب ، وروح صديق ، وانطلاقة متحرر متزن ،  
وملاحظة ناقد متبصر ، ودراسة باحث معم<sup>(٤)</sup> مدقق ، وشعور ودود  
محب للناس ، رفيق بالناس ، حريص على إسداء الخير العميم<sup>(٥)</sup> .  
ومع ما فيه من روح الود والصدقة وحب الناس له رسوخ الجبل في

(١) يسيرة : سهلة .

(٢) مترامية الآفاق : بعيدة الميادين والنواحي .

(٣) أوفى : أكمل وأعظم .

(٤) معم : محقق مدقق .

(٥) العميم : الشامل .

الحقّ ، وصلابة الفولاذ في العزيمة ، وقوة السيل في الاكتساح ، واطّراد  
النهر في التدفق والانطلاقة ، كما أن له عزة النفس ، وحماسة الإباء<sup>(١)</sup>  
إذا احتاج الأمر إلى العزة والحماسة والإباء .

\*\*\*\*

لقاسم أمين عقل المفكر الهادئ المترنّ ، الميال إلى الصمت والسكون ،  
ولكنه في هدوئه وصمته وسكونه لا يكفّ لحظة عن التفكير فيما حوله  
وتعمّق أغواره<sup>(٢)</sup> وأعماقه وأبعاده ، وهو في هذا كالنجم يرى ساكناً  
وهو في أسرع حالات الحركة والدوران ، وكالجدول الوديع يُظنّ واقفاً  
وهو مسترسل في حركته وجريانه .

\*\*\*\*

وله حسّ الأديب في ملاحظته للبيئة والناس وأحداث الاجتماع ،  
وانفعاله بها ، وحسن تعبيره عنها . وأسلوب تناوله لها . كتب عن  
الوطنية في مصر :

من ذا الذي ينكر على المصريين تقدمهم في الإحساس الوطني ؟  
عاش آباؤنا ، وتعلّموا ، واشتغلوا بالصناعة والتجارة ، وخدموا  
أمّتهم وفتحوا البلاد ، وحاربوا الأمم . ولم نسمع عنهم أنهم كانوا  
يحبّون وطنهم ويتهمون خصومهم بالخيانة !  
وكأنه يريد أن يصف وطنيتهم بأنها عريقة<sup>(٣)</sup> من ناحية ، أصيلة وطبيعية  
من ناحية أخرى ، حتى إنهم لم يكونوا يتغنّون بها ، ولا يشغلون ألسنتهم  
بترديد ألفاظها ، وهذا هو حسّ الأديب ، وأسلوب الأديب . ويمضي

---

(١) الإباء : العزة والامتناع من الاختدار إلى مالا يليق . (٢) أغواره : جمع غور . أعماقه .

(٣) عريقة : أصيلة قديمة .



« قاسم أمين » وكأنما يتعجب ويدهش . يقول :

أما الآن فأينما قرأت وفي أي مكان وجدت لا أسمع إلا حب الوطن ، والجريدة الوطنية ، وحزب الوطن ، والبيوت التجارية ، والمحال الصناعية ، والصيدليات وعيادات المرضى التي تشتغل وتبيع لخدمة الوطن . صار حب الوطن ديناً جديداً . من اعتنقه ربح ، ومن بَعَدَ عنه خسر .

فماذا يريد قاسم أمين ؟ إنه في أشد الإعجاب بالوطنية الناشئة ، وبالدين الجديد دين هذه الوطنية ، وفي أشد الحرص على أن تكون هذه الوطنية وطنية العمل إلى جانب القول ، ووطنية الجهد والاجتهاد والنضال في سبيل النهوض بما تفرض من واجبات .

\* \* \*

ولقاسم أمين روح صديق ... وقد ترددت كلمة الصداقة على لسانه ، حتى كأنها دعامة من دعائم تفكيره ، وأساس من أسس كيانه وحياته . فالرفيق صديق ، والزميل صديق ، والودود<sup>(١)</sup> صديق ، وهو صديق لكل الناس . وفي صداقاتهم ، وهو حريص على كل ما يدعم<sup>(٢)</sup> روابطه بهم ، بعيد عما يضعف من هذه الروابط ، أو يمزقها ، أو يعصف بها ، وقد كتب إلى الزعيم الخالد سعد زغلول :

« إلى صديقي سعد زغلول :

فيك وجدت قلباً يحب ، وعقلاً يفكر ، وإرادة تعمل ، أنت الذي مثلت لي المودة في أكمل أشكالها ، فأدركت أن الحياة ليست كلها شقاءً ، وأن فيها ساعات حلوة لمن يعرف قيمتها . »

(٢) يدعم : يقوى .

(١) الودود : المحب .

ويعضى قاسم أمين إلى لون آخر من الصداقة . يقول :  
« من هذا أمكننى أن أحكم أن هذه المودة تمنح ساعات أحلى إذا  
كانت بين رجل وزوجته . ذلك هو سرُّ السعادة التى رفعت صوتى  
لأغلبه لأبناء وطنى رجالاً ونساءً »

\* \* \* \*

ولقاسم أمين انطلاقة متحررة فى اتزان ... فهو عاشقٌ للحرية  
مشغوفٌ بها<sup>(١)</sup> مولعٌ<sup>(٢)</sup> بأن يراها مطبقة سائدة ، ولكنه لا يحبها قط<sup>(٣)</sup>  
متحللة ، ولا يهيم بها<sup>(٤)</sup> فى صورتها البهيمية المنحطة .

لقد رأى الحرية فى فرنسا ، ورأى مظاهرها ، ومجالاتها التى لاحدٌ  
لها ، ولا قيود عليها ، ولا شك أنه أحب الحرية ، ولكنه لم يحب قط  
انطلاقها بغير حدود ولا قيود .

كان يريد حرية المظلوم ليتحرر من سجنه ، والمقيد بغير حق ليفلت  
من قيده ، والمرأة لتتخلص من استعباد الرجل لها ، ومن حبسها بين  
الجدران ، ويحب حرية الأسرى فى ظلمات الجهل ، وآلام الفقر ،  
ومأسى<sup>(٥)</sup> الحرمان ؛ ليلقوا عن ظهورهم أوزار<sup>(٦)</sup> هذه المحنة وأثقالها ،  
ولكنه لا يريد للمرأة حرية التبرج ، أو حرية الخلاعة ، ولا يحب لأحد  
أن تتحول حرّيته خداعاً ، أو نفاقاً ، أو لعباً بالعقول والمشاعر .

\* \* \* \*

ولقاسم أمين ملاحظة ناقد متبصر . . وأوضح ما يدل عليها نقده  
للمجتمع المصرى بخيره وشره . بمحاسنه ومساويه . بحكامه وأبنائه . .

(١) مشغوف بها : شديد الحب لها . (٢) مولع بالشىء : شديد التعلق به . (٣) قط : أبدا .

(٤) لا يهيم بها فى صورتها البهيمية : لا تثير عشقه لها فى صورتها الحيوانية الرضيعة .

(٥) مأسى الحرمان : قصصه الأليمة

(٦) أوزار : أثقال

بمختلف من به من الرجال والنساء ، من الكبار والأطفال ، من ألوان النشاط ومظاهر التقدم والتخلف على تعددها ومع اختلافها . . بل قد تصل ملاحظته إلى الدقائق التي لا يلاحظها غيره ، والخفايا التي لا يدركها سواه . قال عنه أحد من أرخوا له : « قد استطاع أن يقيم معياراً صحيحاً يقيس به رغبات الرجال ونزعاتهم ، ولسنا ندري : هل كان يتنبأ بكشوف علم النفس الحديث حين قال : إن الإنسان أسير الشهوات ما دام حياً ، وإنما تختلف شهواته باختلاف سنه . شهوة اللعب عند الطفل ، وشهوة الحب عند الشاب ، وشهوة الطمع عند رجل الأربعين وشهوة السلطة عند شيخ الستين . جميعها شهوات ، تعرض صاحبها للهفوات واقتراف الخطايا .

\*\*\*\*\*

ولقاسم أمين دراسة باحث ، وذلك واضح من ردّه على الدوق داركور ، واستناده إلى التاريخ والبيئة والشرعية والاجتماع ، واضح أيضاً من مؤلفاته ومقالاته الدقيقة العميقة .

\*\*\*\*\*

وقاسم أمين - فوق ذلك كله ، وبعد ذلك كله - متمسك برأيه ، معترّ به ، مصمم عليه ، وهو في تمسكه برأيه ، واعترازه به ، وصلابته فيه - يسلك مسلك أبيه في تصميمه على الهجرة من « الآستانة » ، وفراقه لأسرته ، وزحلته إلى مصر وإلى جنتها الخالدة .

ومن مظاهر تمسكه برأيه أنه كان في مقدمة من دعوا إلى إنشاء الجمعية الخيرية ، وأراد بعض الأعضاء معه أن تكون أموالها وقفاً عليها ،



حتى لا يبددها أحدٌ ، وأبى هو أن تكون وقفًا ؛ حتى لا تكون جامدةً ، ويصعب التصرف فيها .

وصمموا ، وصمم ، وأصرُّوا وهدد بالاستقالة . وما زال حتى سلّموا برأيه ، ورجعوا عن آرائهم .

العوامل المؤثرة في شخصيته :

كان من وراء شخصيته مؤثرات متعددة : كان من العوامل المؤثرة فيها وراثته عن أبيه وأسرته ، وبيئته في مصر وفي فرنسا ، ودراسته الشرقية والغربية ، وبحوثه في الشريعة والدين والقانون والاجتماع وغيرها ، وغيرها . قال عنه أحد من أرخوا لفكره وحياته :

إنه تأثر بخير ما كان في الوسط المصري ، فأشرب<sup>(١)</sup> روح الإسلام منذ أن كان ناشئاً ، وتأثر بالوطنية الشابة ، فكان وطنياً من طراز خاص<sup>(٢)</sup> . وتأثر بدراسته الفرنسية ، فأمن بما كان يتدفّع في الوسط الفرنسي من أفكار الحرية والتقدم ، وتأثر بالحضارة المادية في أوربة ، فدعا إلى اتباع خطاها .

لقد تأثر بكل هذه العوامل ، وأتيحت كل هذه العوامل لهذه الشخصية ، ولكن في تدبّر وتعقل . وعن وعي صحيح ، وبصيرة مستقيمة .

---

(١) أشرب روح الإسلام : سرى فيه حبه وحرصه على الدفاع عنه .

(٢) من طراز خاص : من نوع خاص .

## الفصل السابع

### قاسم أمين والإسلام

نزعته الإسلامية المتبصرة :

نشأ « قاسم أمين » فى أسرة تركية مسلمة ، وفى الأتراك نزعاً دينية متعصبة ، وقد تولت أسرته الإشراف على « السليمانية » بالعراق ، فكان عليها بذلك أن تحافظ على الشعائر والمراسم الدينية ، وفى ذلك ما يزيد من ارتباط الأسرة بالإسلام ، والحرص على مظاهره ؛ والقيام عليها .

ولا شك أن « قاسم أمين » تأثر بالدراسة فى فرنسا ، ورأى من الحرية الدينية والحرية العامة ما لم يره فى مصر . ولا شك أيضاً أنه وجد العقلية الغربية تنظر إلى الدين نظرة مخالفة لنظرة الشرق المسلم إليه ، ولكنه كان مسلماً شديداً الغيرة على الإسلام ، وظهر ذلك فى كتابته عنه ، وفى ردّه على الطاعنين فيه .

غير أن قاسم أمين لم يفهم الدين كما يفهمه أصحاب الخرافات ، وضحايا الأساطير<sup>(١)</sup> ، ولم يره بعين الجمود والتعصب الأعمى ، وإنما رآه بعين بصيرة ، وعقلٍ متفتح ، وأفق واسع ، وكانت نظرته إلى جوهره<sup>(٢)</sup> أشد من نظرته إلى سطحياته وهوامشه ، وإن تطرف فى ذلك بعض التطرف .

(١) ضحايا الأساطير : من يتمسكون بها ويفعلون بما فيها .

(٢) جوهره : أصوله وحقيقته .

### دفاعه عن تقديمية الإسلام :

رأى الدوق داركور يرمى الإسلام بأنه سبب التخلف في مصر ، وسرُّ العادات السيئة التي يأخذ المصريون أنفسهم بها ، وأساس الجهل الذي يعانيه أبنائها ، فثار لدينه ، وردَّ ردًّا أسكته ، وكتب أنفاسه<sup>(١)</sup> . ولقد اعتنق قاسم أمين فكرة « التقدم » وما زال يبحث حتى اهتدى إلى الوفاق بينها وبين الإسلام ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ .

« إن هذه الآية قانون الإسلام ، وبها يظهر للقارئ : كيف توافقت شريعتنا هي والعلم ، كما تتفق معه دائماً لو كان القائمون بشئونها رجالاً أكفاء<sup>(٢)</sup> يخدمونها بجد ، ويفهمونها بوعى وبأصالة إدراك .

### دفاعه عن نظرة الإسلام إلى المرأة :

رأى قاسم أمين الدوق داركور يرمى الإسلام بأنه رفع مكانة الرجل ، وهبط بمكانة المرأة ، فجعلها سلعة في يده ، يحرمها نور الحياة ، ويحبسها في البيت ، ويلزمها الحجاب ، ويحرم عليها العمل ، ويحول بينها وبين ألوان النشاط في المجتمع .

انتفض « قاسم » لهذه الطعنات الظالمة ، ودافع عن الإسلام وعن المرأة أجلّ دفاع ، فقرر أنه قد سوّى بين الناس جميعاً ، ورفع المرأة إلى مستوى الرجل ، ولم يجعل له امتيازاً خاصاً يعلو به ويهبط بها .

### الإسلام يسبق غيره من النظم الثورية التقدمية :

قرر « قاسم أمين » كذلك أن الإسلام قد سبق كل النظم السياسية

(١) كتب أنفاسه : ضغطها فلم يهتئ لها أن تتنفس .

(٢) أكفاء : جمع كفاء ، وكفاء الشيء من على مستواه في القدرة .



الثورية بألف سنة ، أو تريد ؛ فقد أنكر امتيازات البلاد ، وامتيازات الثروة ، وكان وحده الدين الذى يفسح فى المجال لكل ذى عمل أن يحسن عمله ، ويرقى به من أدنى الدرجات إلى أعلاها .

كما قرّر أنّ هذا الدين هو الذى منح المرأة من الحقوق ما لم تبلغه المرأة الغربية إلى أواخر القرن التاسع عشر ؛ فهي عنده - حتى إن تزوجت - تحتفظ بحقوقها المدنية ، ولها الكفاءة<sup>(١)</sup> شرعاً - أن تتصرف فى أمورها دفعاً ومنعاً ، ومن غير أن تستصدر تفويضاً من زوجها أو من المحكمة .

المرأة فى الغرب :

يزداد الغضب بقاسم أمين !

وتزداد ثورته على أمثال الدوق داركور ، فيتناول المرأة فى الغرب ... وما بلغت من تحلل ، وما هى فيه من امتهان ، وما تُرهى به<sup>(٢)</sup> وهى فى أحط درجات الاجتماع .

ويورد إحصاء يدلُّ به على حالها فى الغرب ، فيذكر أن ربع المواليد فى أوربة غير شرعيين ، وأن مائة وخمسين ألفاً منهم قُتلوا وهم يخرجون من بطون أمهاتهم ، وأن السبب فى ذلك الاختلاط الشديد بين الرجل والمرأة ؛ فالمرأة الأوربية تسقط دائماً فى وحل الرذيلة ؛ لأنها تجد الظروف مهياة لها .

فهناك النزعات الطويلة التى يقضيها الرجل والمرأة وحدهما ؛ على الحشيش الأخضر البراق ، وهناك حمامات البحر ، وهناك الحفلات

---

(١) الكفاءة : المراد الصفة التى تصلح بها للتصرف . (٢) ما ترهى به : ما تتباهى به

الصاخبة<sup>(١)</sup> ، وهناك الولائم الفخمة ، ثم هناك - بعد ذلك كله المراقص ؛ حيث تكتسى النساء من الثياب الشفافة ما يبلغ إلى تحت الأكتاف ، وتلك الصور المتهتكة الباريسية هي التي أنتجت ذلك التحلل الخلقى في المرأة الفرنسية ، وهي صورٌ جديرة بأن تبرز حين يهاجم المتعصبون الحجاب .

والإسلام عند « قاسم » شيء ، ونقائصُ أبنائه شيء آخر منقطع الصلة به ، وهو حين يعترف بعيوب المسلمين لا يغفل عن محاسنهم ، ولا يُريد التشهير بهم ، وإنما يرجو له الخروج من الأسوأ إلى الأحسن ، ومن الأنقص إلى ما هو أفضل .

وأخيراً لقد فرّق كثيرٌ من أبناء الإسلام بين آراء قاسم أمين ، وحمولات التشهير به ، وعرفوا أنه يريد الخير للإسلام وأبنائه ، كما أن الزمن أتاح لغير قليل من آرائه أن تُطبق ، وأن تعيش وليس بها جرحٌ للإسلام ، ولا طعنٌ فيه ، أو خروجٌ على مبادئه وتعاليمه .

---

(١) الصاخبة : ذات الضجة الواضحة

## الفصل الثامن

### قاسم أمين والمرأة

وجهة نظره في الدفاع عن المرأة :

لقد شغلت المرأة المسلمة المصرية « قاسم أمين »

وشغلته هجمات الغرب عليها ، وطعنهم فيها وفي حجابها ، وسجنها في البيت . . فتجرد للدفاع عنها ، وعانى في ذلك أشد المعاناة .

وكان في دفاعه بين عوامل ثلاثة :

كان يقدر المرأة غاية التقدير ، ويقدر الإسلام كل التقديس ، ويحرص على أن يخرج بالمرأة من حياتها إلى حياة أخرى أجدى عليها ، وأنفع لها ولمجتمعا .

\*\*\*\*

كان يقدر المرأة غاية التقدير ؛ لأنه يرى فيها الركيزة الأولى لبناء المجتمع ، ويجد فيها أساس كيانه ، وسر صلاحه ، ودعامة ائتلافه وتماسكه . هي عنده أم الطفل الذى يصلح بصلاحها ، ويفسد بفسادها ، وهي عنده بانيئة الزوج ، وصانعة الرجل ، وروح المستقبل الذى يحيا بمن تصنعهم ، ويمضى بجهودهم على طريق التقدم والنماء والحياة الصحيحة . كان يضع بين يديها آمال مصر ، وأقوى ما يتاح لها<sup>(١)</sup> من العزة والكرامة ، وما يتاح من السعادة لشعبها ولأبنائها .

وكان يرى عاصفة من النقد لها ، ولوضعها الاجتماعى . يوجهها إليها الحاقدون على الإسلام وفي مقدمتهم « الدوق داركور » .

---

(١) ما يتاح لها : ما يهيأ لها ويمكن أن تعتمد عليه .



وكان يأسى<sup>(١)</sup> لهذه العاصفة ، ويأسى أكثر لمن ينسبون عيوب المرأة المسلمة إلى الإسلام يشوهونه بها ، ويطعنونه بطعناتها ، وهم فى أعماقهم حاقدون عليه يريدون الشر به وبأبنائه .

\* \* \* \*

ولم يكن قاسم أمين ينكر تخلف وضعها الاجتماعى . . كان يراها عبدة فى يد كثير من الأزواج ، وكان لا يرى فيها الصديقة المنشودة<sup>(٢)</sup> لزوجها .

وكان يجدها مقيدة بقيود البيت ، أسيرة لسجنه ، محجبة بحجابها ، مغلولة بأغلال<sup>(٣)</sup> متعددة ؛ من الجهل ، والتخلف ، والخضوع الأعمى للرجل ، والانعزال عن المجتمع ونشاطه . كان لا ينكر ذلك كله ، ولكنه ينكر أشد الإنكار أن يكون سبب الإسلام ، كما ينكر ما يوجه إلى هذا الدين القويم<sup>(٤)</sup> من إذلال لها بالطلاق وتعدد الزوجات والحجاب !

كتابه فى المرأة والدفاع عنها :

تألم قاسم أمين لهذه العاصفة الظالمية ، وأصابته منها الحمى ، وكادت تقتله .

ولكنه قهر الآلام والانكماش ، وتجرّد للدفاع عنها وعن الإسلام ، فأصدر كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة »

وكان فى كتابيه يتحدث عن مكانة المرأة فى المجتمع ، وأثرها فى حياته وصلاحيه بها إذا صلحت ، وعن الدستور الذى لا بدّ منه ليأخذ

---

(١) يأسى : يحزن . (٢) المنشودة : المرجوة . (٣) أغلال : قيود . جمع غل .

(٤) القويم : البعيد عن كل عوج

بيدها ، ويضعها في وضعها الصحيح .  
وجرّه الحديث عنها ، وعمّا رُميت به - إلى الحديث عن الطلاق ، وعن  
تعدد الزوجات ، والحجاب ، وعن الإسلام ، ويسر قواعده ، ومكانة  
المرأة في تعاليمه ، وما نالت من الحقوق على يده .  
أصداء آرائه :

وكان لآراء قاسم أمين دوىً شديداً<sup>(١)</sup> ، ولصرخاته زئيرٌ يعمُ الآفاق ..  
وفي هذه الآراء صارح بما ينادى به : من الدعوة إلى السفور ، ومحاربة  
التبرُّج ، ومشاركة المرأة في العمل على أساس من الأخلاق والآداب  
الكريمة ، وإعطائها حقوقها ، وعدم ظلمها أو العدوان عليها ، وفيها  
أفاض<sup>(٢)</sup> في الحديث عن الإسلام ووضعها في وضعه الصحيح ، ولم  
يتجنّ عليه<sup>(٣)</sup> أو يسئ إلى مبادئه ، كما يزعم بعض المناهضين له ... قال  
أحد من كتبوا عنه :

« خرج على الناس بآراء حول المرأة ، فأحدث ثورة في الأفكار  
وكانت في نفسها رشيقةً ؛ لأنها بعثت أهل الدين على التفكير ،  
ولأنها بعثت الشباب على العمل ، ولأنها بعثت الشيوخ على التدبُّر ،  
ولأنها بعثت المجتمع على الإصلاح .  
موقف الناس من آرائه :

كان حديث قاسم أمين عن السفور ، والحجاب ، والطلاق ، وتعدد  
الزوجات . . غريباً على رجال الدين الذين يعرفون قشوره ، ولا يعرفون  
جوهره .

(١) دوى شديد : صوت قوى يصل إلى كل أذن . (٢) أفاض : أطل الحديث .

(٣) لم يتجنّ عليه : لم ينسب إليه ما لا صلة له به من نقائص .

وانطلق الناسُ يتصارعون : منهم من يؤيدون الحجابَ ، ومن يؤيدون السفورَ ، ومن يدافعون عن الحجابِ الشرعى ، ومن يناصرون وجهة نظر الإسلام في الطلاق ، وتعدّد الزوجات ، ومن يشيدون بالغرب وحرّيته وتحرّره .

ولم يكن دستورُ « قاسم أمين » فى المرأة مُجرّد كلماتٍ . وإنما كان دعوةً إلى أن تتعلّم كما يتعلّم الرجلُ ، وتحرّر كما يتحرّر فى غير مجاوزة<sup>(١)</sup> ولا إسرافٍ ، ودعوةً إلى أن تعمل كما يعملُ ، وتنتج كما ينتجُ .

وليس السفورُ الذى دعا إليه كسفور الغربيات ، وإنما هو سفورُ المسلماتِ ، أو سفورُ الحجابِ الشرعى الذى أقره الإسلام ، وأتاحه للمرأة المسلمة ، وليست الدعوة إلى تعليم المرأة لمجرد الإصلاح الاجتماعى ، ولكن حياة المرأة وتطورها . قال أحد من كتبوا عنه :  
« هو لم يدعُ إلى تربية المرأة وتثقيفها إلا لأنه كان يرى أن التفاهم من بين أسس السعادة ، وأنه لا يمكن أن تكون صداقة بين الرجل والمرأة ما دام أن الرجل أرقى منها ثقافةً وأوسعُ منها محيطاً<sup>(٢)</sup> ، وبذلك عمل قاسم أمين على إنصاف المرأة ، وحرص على إنصاف الإسلام ، وإنصاف الحقيقة ، وبعث المجتمع إلى التقدم والحياة الصحيحة .

---

(١) مجاوزة : خروج على المعقول والمقبول .

(٢) أوسع منها محيطاً : أوسع منها علماً وثقافة .



## الفصل التاسع

### قاسم أمين وجهوده الإصلاحية

مصلح اجتماعي :

لم يكن « قاسم أمين » بطلاً من أبطال الحروب ، ولا جندياً من جنود ميادينها — كما تقدم — وإنما خُلِقَ ليكونَ رائداً من رواد الإصلاح الاجتماعي ، وزعيماً من زعمائه . خُلِقَ للناس أكثر مما خُلِقَ لنفسه ، وأحسَّ بالولاء للجماعة<sup>(١)</sup> التي نشأ فيها ، وعاش بين أفرادها ... وقد وُلِدَ بمصر ، وعاش بمصر ولمصر ، فأحسَّ الانتماء الحقَّ إليها ، وقضى حياته لها وفي سبيلها .

أظهر جهوده في إصلاح المجتمع :

من يدرُس حياة قاسم أمين يُحسُّ وطنيته الحقة لمصر ، وعمله الدائب لخيرها ، وإصلاحها . وأهم أعماله فيها .

أولاً : محاربة الفساد الاجتماعي ، والعمل على إصلاح الشعب وتقدمه .

ثانياً : تحرير المرأة ، وإنقاذها ، والنهوض بها .

ثالثاً : من أعماله الجليلة أن كان أول من دعا إلى تأسيس « الجمعية الخيرية الإسلامية » ، وكان تأسيسها صدًى<sup>(٢)</sup> من أصداء النظام في نفسه وحياته ، وفي نفوس نفر من صحبه . لقد رأى البرَّ فوضى ، ورأى الإحسان شتاتاً ! هذا يعطى وهذا يمنع . هذا يأخذ وهذا يحرم . هذا يدفع برّه في ناحية ، وهذا يدفعه في ناحية أخرى ، وهذا يتوارى فلا يدفع شيئاً . .

(٢) صدًى : المراد أثراً .

(١) الولاء للجماعة : الوفاء لها ولحقوقها .

ورأى الجهودَ الفردية - على كثرتها - ليست شيئاً يذكّرُ أمام المشروعاتِ العظيمة ، وأمام ما تحتاجُ إليه من مال كثير .

لم يأنس<sup>(١)</sup> « قاسم أمين » لهذا الوضع ، ولم ترتح نفسه له ، ففكر في وضع ينظم به البرُّ ، وتريدُ به عوائدهُ ، وتنتشرُ فوائدهُ بين الناس . قيل عنه :

« كان قاسمُ أمين من بين الأعضاء الأوائل الذين وجهوا الجمعية في سبيل البر . . . ولعل أهدافه في ذلك كانت متعددة :

« كان يريدُ بهذه الجمعية اجتذابَ أكبر عدد من الناس ليسهموا فيها<sup>(٢)</sup> ، ويتعاونوا على تكوينها ونشرها في أنحاء القطر .

« وكان يريدُ تنظيمَ أموالها . لكى تُسدَى<sup>(٣)</sup> إلى ذوى الحاجات في عدالة ، وبأدقِّ نظام . وأحبَّ أن يُجمعَ المالَ الكثير ؛ لمواجهة المشروعات الكبيرة كبناء المدارس ، والمستشفيات ، والملاجئ ، والوحدات الصحية ، والمؤسسات الخيرية على اختلافها ، وأرادَ بهذا التنظيم ألا يجدَ الفقراء وذوى الحاجات غضاضة<sup>(٤)</sup> في الإقبال عليها ، والأخذ منها ؛ لأن عطاءها ليس عطاءً أفراد ، وإنما هو عطاء مؤسسة منظمة . لا يظهر فيها وجهُ المعطى ، ولا يتبعهُ مَنْ<sup>(٥)</sup> ولا أذى .

وقد امتدت هذه الجمعية ، وتفرَّعت ، وتشعبت ، فكانت جمعيات هنا وهناك في أنحاء القطر ، وكان لها سياساتها وعطاؤها ، كما كان لها مشروعاتها التي تختلف ما تختلف ، ولكنها تتفق في أنها موجهة للخير العام ، خالصة لله وللمجتمع .

(١) لم يأنس : لم يرتح ولم يطمئن

(٢) ليسهموا فيها : ليشاركوا فيها

(٣) تسدى : تعطى وتقدم

(٤) غضاضة : حرجا

(٥) مَنْ : حديث وتفضل بالنعمة .

وعاشت هذه الجمعيات حتى الآن ، وستعيش إن شاء الله تعالى في الغد القريب والبعيد تحدث بزغامة قاسم أمين ، وبآثاره في إصلاح المجتمع وتنظيم شئونه وحياته .

رابعاً : كان قاسم أمين من الرواد الأوائل في تأسيس « الجامعة الأهلية » وكانت هذه الجامعة أملاً وهدفاً . كان يراؤ بها استكمال الحلقة الأخيرة من تمصير التعليم ، حتى يدخل المصري مؤسساته ابتداءً من المدارس الابتدائية حتى الجامعة .

وكان يراؤ بها أن تتحقق العزة المصرية ، والكرامة المصرية ، وألا يتحكم الأجانب في التعليم العالي ، يُوجهونه كما يشاءون ، وتشاء أهدافهم ، ومنها الوضيعة والخبثة<sup>(١)</sup> .

وكان يراؤ الانطلاق بالعلم والتعليم إلى غايته ، وإلى الآفاق التي ينبغي أن ينطلق إليها .

كان ذلك سنة ١٩٠٨

وكان قاسم أمين ثانياً اثنين ممن نادوا بإنشاء هذه الجامعة ، وقد سبقه في ذلك سعد زغلول .

وأراد الله أن يتحقق أمل « قاسم أمين » في هذه الجامعة ، وفي إنشائها ، ولكنه أراد أيضاً ألا ترى عينه افتتاح هذه المؤسسة العظيمة ، أو يحضر حفل هذا الافتتاح ؛ فقد مات في ليلة الثالث والعشرين من أبريل سنة ١٩٠٨ ، وسنه خمس وأربعون سنة ، ولم تفتح إلا بعد ثلاثة أشهر من موته .

---

(١) الخبيثة : الدنيئة الحقيرة .



## الفصل العاشر

### ختام في كلمات

في حياة قاسم أمين وجهاده دروس لكل ذى عين بصيرة ، وعقل مفكر ، وقلب سليم . من هذه الدروس :

(١) الوفاء لوطنه : فقد كان تركي الجنس ، ولكنه وفى غاية الوفاء لمصر التى ولدَ على أرضها ، وشرب من نيلها ، وعاش على خيراتها ، وقضى حياته بين أبنائها .

(٢) النضال فى سبيل نهضة مصر ؛ فقد اعتنق مبدأ « التقدم » ، ودخل المجتمع المصرى بهذا المبدأ ، وعاش يناضل<sup>(١)</sup> لمحاربة الفساد والتخلف فى الشعب ، وليدفعه نحو ما هو أصلح وأفضل .

(٣) تحرير المرأة : فقد كان من أنصارها ، وأنصار دفعها إلى الخروج من البيت والعمل فى سبيل نفسها وأسررتها ووطنها ، ومشاركة الرجل فى كفاحه ، ولكن مع التزام الخلق ، والتمسك بالأدب ، والبعد عن التبرج<sup>(٢)</sup> والتحليل ، والانطلاق البهيمى الوضع .

(٤) الدفاع عن مصر وعن المرأة المسلمة ، وعن الإسلام : فقد وجد من الغرب من يرمى أبناء وطنه بالذلة والمهانة والعبودية ، والمرأة المسلمة بالتخلف والانحطاط ، والإسلام بأنه السبب وراء الجمود والتخاذل والبعد عن الحرية والانطلاق . . وكان فى مقدمة المتحاملين<sup>(٣)</sup> عليه الدوق « داركور » فتجرد « قاسم أمين » للدفاع

(١) يناضل : يجاهد . (٢) التبرج : الخروج عن الحد فى التزين والتظاهر به .

(٣) المتحاملين عليه : من يتجنون عليه ، وينسبون إليه ما ليس به من نقائص .

القوى الصادق عن المصريين ، والمصرية المسلمة ، والإسلام القويم ،  
وخرج من هذا الدفاع ، وقد ظفر بحب وطنه ، وأكثر أبنائه ،  
وتقديرهم ، والنظر إليه على أنه زعيم بارز من زعماء الإصلاح  
الاجتماعى فى مصر .

(٥) الثبات وقهر اليأس ؛ فقد لقي أشد الطعنات من تحامل أبناء  
الغرب المتعصبين ، ومن غفلة بعض أبناء مصر المتخلفين ، ومرض أشد  
المرض ، وكاد يتراجع ، ولكنه كان أقوى من التراجع واليأس ، فثبت  
وناضل حتى كتب له النجاح .

(٦) الكفاح لإنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية ، والجامعة  
المصرية .. وهما من أجل أعماله وسيبقى اسم « قاسم أمين »  
وستبقى ذكرياته خالدة على الأيام ، باقية على الدهر ، مع ذكريات  
غيره من زعماء النهضة الحديثة ورواد الإصلاح فى مصر .  
وبالله التوفيق

يوسف الحمادى





## مطبوعات مكتبة مصر

### عظماء قهروا البأس

- |                          |                          |
|--------------------------|--------------------------|
| ١ - حافظ إبراهيم         | ١١ - محمد كريم           |
| ٢ - محمود سامي البارودي  | ١٢ - عمر مكرم            |
| ٣ - عباس محمود العقاد    | ١٣ - عبد الله النديم     |
| ٤ - أحمد عرابي           | ١٤ - الإمام محمد عبده    |
| ٥ - طه حسين              | ١٥ - محمد طلعت حرب       |
| ٦ - مصطفى كامل           | ١٦ - قاسم أمين           |
| ٧ - سعد زغلول            | ١٧ - الشيخ علي يوسف      |
| ٨ - علي مبارك            | ١٨ - سليمان الجوسقي      |
| ٩ - محمد فريد            | ١٩ - عبد الرحمن الكواكبي |
| ١٠ - جمال الدين الأفغاني |                          |

## مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

ت : ٥٩٠٨٩٢٠

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه

Bibliotheca Alexandrina



0693069

الثلث ١٠٠ قرش